

الدلالات السوسيو- اتصالية للكتابة الجدارية داخل عصابات الأحياء دراسة حالة فئة المخدرات بحي الكيلومتر الخامس بجيجل

The Socio-communicative connotations of graffiti within neighbourhood gangs:
(A case study of the drug category in the Fifth Kilometres neighbourhood in Jijel).

العيد عماد^{1*}، حمزة نقاشي.

¹ جامعة 20 أوت 1955 – سكيكدة (الجزائر)، l.ammad@univ-skikda.dz

² جامعة 20 أوت 1955 – سكيكدة (الجزائر)، h.nekkachi@univ-skikda.dz

تاريخ الاستقبال: 2024/10/11؛ تاريخ القبول: 2025/02/11؛ تاريخ النشر: 2025/10/01

ملخص: تعنى هذه الدراسة إلى الكشف عن معاني شفرات الكتابة الجدارية لفئة متعاطي المخدرات وترويجها ثم محاولة فهم دلالتها السوسيو- اتصالية بعد تفكيكها، على عكس الدراسات التي تناولت هذا الموضوع من خارجه، بحيث تم الاعتماد في تعيين حالات الدراسة (نجمة المهرج، اللاز دوبيك، الجوكر أو المهرج) من قبل أحد متعاطي المخدرات بالحي المدرس، وعلى الوشام في تفكيكها حتى لا تقع في خطأ الملاحظة و/أو التأويل، ومن النتائج التي تم التوصل إليها بوليسمية المعنى للرمز الواحد داخل فئات المخدرات، القنوات البديلة في التواصل رمزيا الوشم على الجسد، التصغير دلالة على مdahمة أمنية، ومن ايديولوجيتها المصدرة في بناء اللغة الرمزية أفلام المافيا والفلسفة الاناركسية.

الكلمات المفتاح : دلالة، كتابة جدارية، عصابات أحياء، تشفير وفك تشفير.

Abstract: This study aims to reveal the semantic meaning of graffiti codes for drug users and dealers, and attempting to understand its socio-communicative significance after deconstructing it. In contrast to studies that dealt with this topic from outside it, the study cases (Clown star, the ace of spades, the joker) were identified by a drug user in the studied neighbourhood, and by the tattooist in decoding; so that we avoid making wrong observation and/or interpretation. Among the results that have been reached; the meaning nomenclature of a single symbol within drug categories, alternative channels of communication Symbolically; the tattoos on the body, and the whistling as an indicator of a security forces raid; and it is derived in its source ideology in the symbolic language formation of mafia films and anarchist philosophy.

Keywords: Symbolic meaning, graffiti, neighbourhood gangs, encoding and decoding.

I- تمهيد :

"لا يمكننا إلا أن نتواصل" (وينكين، 2018، ص60)، هكذا تقول مدرسة باولو التو من لغة الجسد إلى الكتابة وُصولاً إلى الصورة نحن نتواصل، كما يقول **وليام لايوف**: "اللسانيات الاجتماعية إنما هي كل اللسانيات" أما **دي سوسير** فهو يرى أنّ "اللسان هو الجزء الاجتماعي من اللغة" (جان كالفي، 2006، ص09)، بينما يعتبر **فيكتور تيرنر** أحد رواد التفاعلية الرمزية "الرمز لغة انسانية تواصلية". على إثر هذا التوصيف تحضر الكتابة الجدارية أو الشعارات كما هي معروفة لدى علماء الاجتماع في عالم عصابات الأحياء في فكر الانسان الحدائي المتجول بلغة **بودلير**، ولكن هنا المتجول الساكن الذي تنوب عن حركته وسائل الاعلام في احضار الثقافة والمشهد الحضري إلى أمامه، فالكتابات الجدارية في عالم فئات المخدرات تعد قناة من قنوات الاتصال الرمزي الذي يحاكي كواقع فائق ثقافة هذا الوسط الاجرامي في شكل لوحة فنية بوليسمية المعنى والدلالة.

إلا أنّ مثل هاته الكتابات هي ليست عبثية مشهد ابداعى عابر وفقط في هذا الوسط الكافكاوي، بل هي تحمل رسائل عديدة: كالمناهضة للواقع الاجتماعي والسياسي والاثنو- ثقافي والتهميش الحضري، وهي مادة مهجّنة ثقافياً ناتجة عن الصناعة الثقافية من مسلسلات وأفلام المافيا والأكشن التي يتم إعادة تدوير ايديولوجيتها وفق منظور هاته العصابات، هذا التدجين الثقافي الممنهج أو ما يُعرف لدى بول **جيلوري** بالأطلسي الأسود، فعلى سبيل المثال: موسيقى الراب لا يمكن أن نقول بأنها أمريكية فقط؛ فمغنو الراب في جنوب افريقيا يظهرون بشكل يبدو أمريكي ويضيفون إليه الضفيرة الافريقية لخلق موسيقى هجينة يتم تصديرها إلى أمريكا فيما بعد (باركر، 2018، ص70)، وفي نفس السياق الأحذية المعلقة على الأسلاك الكهربائية في إيطاليا هي تعني أنّ المكان مخصص للدعارة، هذا السلوك تم تبنيه بالجزائر ولكن ليس بنفس المعنى والجوهر؛ فهو داخل فئات المخدرات الجزائرية يعني أنّ: المكان مخصص لبيع واستهلاك المخدرات.

تتعدد الأسباب وراء انتشار الكتابات الجدارية داخل فئات المخدرات بالجزائر والتي من أبرزها غياب بدائل للاتصال المفتوحة وكذا غياب حرية التعبير، الذي هو في تصور هذه الفئة أنّها مهمشة اجتماعيا وغير مقبول بها، فتعتمد لمثل هاته الأفعال لتبرز حضورها ومشكلاتها فلا تلقى رجع الصدى الذي هو في اعتبار البنية الفوقية حل من الحلول، ولكنه يزيد من تفاقم الباثولوجيات في هذا الوسط؛ الناتجة عن القهر الاجتماعي والاقتضاء السياسي من العمل في المؤسسات الحكومية وغياب ردّ الاعتبار وقانون الرحمة الذي لا يكاد يظهر بالمرّة، والذي يصل تأثيرها حتى للأوساط المدرسية وهنا تظهر المشكلة التي يكون استفعالها في المستقبل أين يمس النسق العام، وعليه فإنّ حق الصمت أمام هذه الفئة هو علاج سلبي.

1. الاشكالية:

تُعَدُّ الكتابة الجدارية بأنّها قديمة قدم الانسان من حيث التوظيف والممارسة، وحديثة حداثة عصره من خلال المعنى، فهي كانت لغة التواصل لدى الانسان البدائي، لتنتقل بعد ذلك إلى الكنائس، أمّا اليوم فهي ظاهرة اجتماعية وحضرية على جدران العمارات والمؤسسات،... الخ. حيث أنّها أصبحت لغة المدينة الصاخبة بصمتها.

فها هي نيويورك تعد عاصمة الكتابة الجدارية والتي برزت نتيجة الهجرات الداخلية والخارجية ممّا أدّى إلى تفاقم التعدديات الثقافية وبدورها خلّفت الثقافة الهامشية **كالهيب هوب** و**موسيقى الراب** و**البراك دانس** والتي تحمل رسائل مشفرة للرجل الهامشي ولحظة اغترابه ثقافيا، وهي التي كلّفت الخزينة الامريكية 12 مليار دولار للقضاء عليها، كما ساهمت حسب وزارة العدل الأمريكية في انخفاض القيمة العقارية والممتلكات وعملت على رفع مستوى الخوف لدى ملاكها (عبد الحسيب، 2015، ص15).

بينما عرفت مدينة ميلانو ظهور عصابات الغرافيتي والتي كانت تبعث بكتابتها رسائل مشفرة كرفض الواقع الاجتماعي والتهكم من رجال السياسة والأمن، والتي اتخذت من الليل لتُعبر عن سخطها على الجدران ناشرةً الرعب في كل مكان؛ حسب ما تقولت به الفنانة **جين غولدن (عامر، 2006، ص127)**، لندن هي الأخرى عرفت الغرافيتا ولكن بنسبة ضئيلة، نظراً لوجود قناة اتصالية أخرى أكثر عمقا في التشفير والتي سببت الملح الأخلاقي في الوسط الانجليزي كحلقات **حليقي الرؤوس وحركة مودس وبانك** كثقافة فرعية شبابية رافضة للسياسة التاتيشيرية، أما في موسكو فقد تبنت الكتابات الجدارية من طرف مافيا المخدرات كعصابة **فناي وميثاليسث وفرق الروك اند رول** والتي كانت تستعمل شفرات خاصة للتواصل فيما بينها، كما استخدمت سنة 1966 في الثورات الطلابية المناهضة للدولة الجاكوبية والعنصرية في مختلف أقطار العالم، التي تركزت خاصة حول حركة **الهيبي** الأمريكية المناهضة للقيم الرأسمالية والتي وجدت في المخدرات وموسيقى **الروك** متنفسا لها.

أما داخل البيئة العربية من الحركات التي عرفت قديما حركة **الحشاشين للحسن بن الصباح** التي كانت تتخذ من المخدرات عاملاً في نشر حركتها، وظهرت الكتابات الجدارية بقوة في لبنان سنة 1987 وهو زمن الهويات القاتلة بلغة **أمين معلوف**، وبفلسطين أخذت بعد المقاومة والنضال ضد الاحتلال، وفي سنة 2011 ظهرت في ثورات الربيع العربي، كما برزت في الجزائر منذ سنة 1954 حين أصبحت لسان الثورة التحريرية، لتعود بعد ذلك في أحداث أكتوبر 1988 كردّ فعل مناهض من الشباب على الواقع السياسي والاقتصادي؛ وأخطرها التي حدثت سنة 2001 ببعد اثني ثقافي بتيزي وزو، أما سنة 2019 ببعد سياسي رافع بتغيير النظام.

عادةً ما تستخدم الكتابات الجدارية للمطالبة بالإصلاحات أو تفعيل أعمال ثورية، إذ تعمل على إبراز الثقافة المضادة وارجاعها إلى المركزية وليس بإقصائها، فما هي إلا محاولة في شكلٍ متمرّد يتواصل بعنف رمزي كرد فعل مقاوم من طرف الشرائح المقموعة خاصّة في الأوساط الشعبية أين تفتقد سبل التواصل الدائري وحرية التعبير، نتيجة التفاوت الاجتماعي أو الحرمان من امتيازات الدولة وهي بذلك تجسّد للمشاكل الاجتماعية كمدلول لمشكل الأبعاد الحضرية وكّدال على التهميش الحضري.

إذا كان هذا هو حال الكتابة على الجدران لدى جميع الأفراد فإنّ عصابة الأحياء تتخذ من جدران العمارات والمؤسسات سلاحاً لإبراز تمرّدها وانحرافاتها المعيارية ومُتمزّهاً لإفراز مكبوتاتها من وسطها المهشّم، والتي تحمل شحنة من الشفرات ورسائل حاملة يوطوبيا بتغيير الواقع أو بشراء سعادة زائفة من خلال نشوة المؤثرات العقلية والحشيش أو قد تتعدّى إلى الشجارات لإفراز الطّاقة السلبية والاعتراضية.

إلا أنّ الكتابات الجدارية داخل كل عصابة من عصابات الأحياء في الجزائر؛ والتي قد تكون عصابة نخب الرمال، أو السرقة أو المخدّرات والتي تدخل جميعها تحت نسق واحد وهو عالم الجريمة في الأحياء، حيث لكلّ عصابة لغتها وعلاماتها وشفراتها التواصلية الخاصة بها، فشفرات الاتصال المرمزة لدى عصابة المخدرات تختلف عن عصابة نخب الرمال أو السرقة، بحيث أنّه في هذا المقام يقول **دينيس بيلدون**: "الكتابات الجدارية لديها لغتها الخاصة بها وهي تستلزم استخدام رموز وشفرات وتحمل المعاني التي يقصدها أصحابها؛ وعليه فإنّ فهم وفكّ لغز تلك الرموز والشّفرات لا بدّ أن يكون من داخل الجماعة التي ينتمون إليها كُتّابها بعاداتهم وتقاليدهم" (المرجع السابق، ص110).

على غرار باقي ولايات الوطن تشهد أحياء ولاية جيجل ظاهرة الكتابة على الجدران؛ وظاهرة عصابات الأحياء المتدافعة على عملية تهريب ونشر الخوف في الوسط السكاني، ومن خلال دراستنا هذه سنحاول الكشف عن شفرات الكتابات الجدارية التي هي في حيّز فئة المخدرات، ومحاولة تفكيك شفراتها ورموزها واستخراج معانيها من داخل وسط عصابة المخدرات، نظراً لكثرة انتشارها في التّجمعات السكانية، فهي إذن معطيات وحقائق قادتنا إلى طرح السؤال الرئيسي الآتي:

— ماهي أبرز المعاني الخاصة بشفرات الكتابة الجدارية لدى فئة المخدرات من وجهة نظر الوشام، وما هي دلالتها السوسيو- اتصالية داخل هذه البنية؟

2. أهمية الدراسة:

تبرز أهمية هاته الدراسة في كشف معنى الشفرة ودلالاتها السوسيو- اتصالية داخل فئة المخدرات، من خلال اعتمادنا على الوشام الذي عادة ما يقوم بوشم أفراد هاته العصابات أو بالكتابة الجدارية لهاته الفئة، وثمة ترابط بين الوشم والكتابة الجدارية في عالم المخدرات وليس من خارجها كما يرى تيرنو و جيرتر أن الرموز دلالتها يجب أن تُفهم وتُدرس من وجهة نظر فاعليها الذين فرضوا ذلك المعنى، بعكس الدراسات التي تناولت موضوع الكتابة الجدارية -بخاصة العربية منها- تأويل هاته الكتابات وإعطاء دلالتها ليس من داخل العينة المدروسة، وكانت معظم الاهتمامات بالكتابات الجدارية داخل المؤسسات التربوية، إضافة إلى أنه لم تهتم بدراسة الكتابات الجدارية لدى عصابات الأحياء، ولربما السبب في ذلك هو صعوبة الاحتكاك أو المقابلة مع هاته الفئة ميدانيا، أما دراستنا فقد اهتمت بدراسة الكتابة الجدارية داخل فئة المخدرات.

3. أهداف الدراسة:

— محاولة الكشف عن معنى شفرات الكتابة الجدارية داخل فئة المخدرات بتفكيك شفرتها من قبل الوشام؛

— محاولة فهم الدلالة السوسيو- اتصالية لهاته الشفرات داخل بنية فئة المخدرات.

4. تحديد المفاهيم اجرائياً:

— **الكتابة الجدارية:** هي اللغة الاتصالية المشفرة (حسب لغة فئة المخدرات: الشرة، اللاز) - ما بين المروج والمستهلك أو العكس داخل فضاء المخدرات، وتظهر في شكل الكتابة التصويرية والمتمثلة في رسوم رمزية وأرقام أعجمية، وأحرف اللغات الأجنبية وأحياناً صور بذاتها أو إشارات، وهي في نفس الوقت معلم ومؤشر زماني ومكاني، تتجلى في خلفيات العمارات والمحلات المخربة أسفل العمارات ومستودعات الكهرباء التابعة لسوناطراك، ومستودعات الأنترنت التابعة لاتصالات الجزائر والمؤسسات التربوية، وهي بذلك تعطي دلالة مكانية عن إطار وحيز الاستهلاك والترويج أو كلاهما معاً للمخدرات بشتى أنواعها.

— **فئة المخدرات:** هي مختلف الفئات العمرية سواء المراهقين أو الشباب وحتى فئة الكهول التي تستهلك و/أو تتبع المخدرات داخل الأحياء السكنية ضمن إقليم جيجل، وهي بهذا عصابة من عصابات الأحياء الأخرى مثل: عصابة نهب الرمال والعصابات المتخصصة في السرقة... الخ.

II - المقاربات النظرية للدراسة:

1. مقارنة جون ستوارت هال: نموذج الشفرة وفكّ الشفرة (التلقي):

لقد تأثر جداً بتجربة الاختلاف الثقافي وانسلاخ الأقليات المهاجرة في بريطانيا عن أصولها، هذا التأثير يُعدّ العامل الأساسي وراء كتابة جون ستوارت هال سنة: 1973 مقال بعنوان: "التشفير وفكّ التشفير"، فسيرورة الاتصال التلفزيوني لدى ستوارت هال متميزة عن بعضها البعض بناءً على العلاقات المؤسساتية التي تربطها، وتظهر في نموذج الدارة الثقافية ويعتبر هذا الأخير لدى الدراسات الثقافية كمحاولة للابتعاد عن الحتمية والاختزالية المتضمنين في النموذج الماركسي البنية الفوقية والبنية التحتية، ففي الدارة الثقافية المعنى ينتج ويضمن على كل مستوى من مستويات الدارة: الانتاج، التمثيل، الهوية الاستهلاك، إعادة الانتاج، حيث انتاج الدلالة في أي لحظة ضمن الدارة متمفصل عن اللحظة الموالية دون تحديد ما اذا كانت المعاني ستقبل أو تنتج في هذا المستوى. (ماتلار، 2018، ص122)

في هذا الشأن كتب رولان بارت مقال له سنة 1964 بعنوان: "عناصر سيميولوجية" حيث وسّع من مفهوم العلامة إلى الصورة والحركات والاعتمادات ... بأنها ألسنا وأنظمة دلالية وقام بتنظيم هذه العناصر إلى أربعة أبواب: الدال والمدلول والتعيين والتضمين، فاللغة تُمثل نسقاً من العلامات وكل علامة تحيل على بعدين: الأول ظاهر وهو الدال، والثاني متضمن في السابق وهو حامل المدلول وبين هذين العنصرين تمر الدلالة (المعنى). (نفس المرجع، ص 99).

ويرى ستيوارت هال أنّ انتاج المعاني لا يضمن استهلاكها، كما أنّ المشفرين أو القائمين بالاتصال وعملية التشفير قد لا يقصدون معنى ما، لأنّ التصوص التيليفزيونية بوليسمية المعنى، أي أنّها متعددة المعنى، ففكّ الشفرة والتي بواسطتها يعطي المتلقي معنى للشفرات ويولد معاني غيرها، يُمكن تأويلها بطرق شتى وهذا ما يقود إلى هيمنة ما تعمل على هيكلة النص داخل المعنى المفضل، والذي يعني تدخل الايديولوجيا في شكل نظام من الدلالات والممارسات التي تُعبّر عن قيم مجموعة اجتماعية وهي الطبقة المسيطرة في الانتاج الثقافي، وهي ليست استراتيجية بل حيلة موجهة لخداع الذين يقعون في فخّها أي احتواء المعنى داخل إطار معين يمثل الجهة المسيطرة.

في هذا يرى رولان بارت أنّ الأسطورة – الاعلانات – هي السرقة اللسانية وسلب الأوساط الاجتماعية الخاضعة لقوانين البرجوازية حيث لا يملك الجمهور أي هامش للنأي من الرسائل التي يُنتجها كتاب الصحف الذين هم أدرع البرجوازية والذين لا يقدر على كشف زيفهم سوى الميثولوجين، ويضرب رولان بارت مثلاً على ذلك في صورة الزنجي في مجلة **باري ماتش**؛ يرتدي بدلة عسكرية ويُحيي العلم الفرنسي أثناء فترة مكافحة الاستعمار في إفريقيا والتي تحمل برسالة بمضمونها نحن في مستعمراتنا كأننا في أوطاننا. (ميغري، 2018 ص 229)، بينما يرى ميشال فوكو أنّ تنظيم الخطاب لا يتم فقط عبر الظروف الاجتماعية والثقافية بل حتى عبر من، متى، أين، ماذا يتكلّم؛ وهي شبيهة بتساؤلات لازويل، وبواسطة عملية السلطة داخل الممارسة الاجتماعية حين تكون المعاني مؤقتة ومنظمة والموتيفات والأفكار وأشكال المعرفة المكررة عبر مجموعة من المواقع تنظم خرائط المعنى وبواسطتها تكتسب الأشياء والممارسات الدلالة. (باركر، 2018، ص 192).

2. مقارنة فيكتور تيرنر: المدخل الوصفي الاثنوغرافي (الرمزي).

يُعدّ فيكتور تيرنر من رُؤاد التفاعلية الرمزية ومن أهم مؤلفاته كتاب غابة الرموز، الذي يبرز فيه أنّ الانسان محاط بغابة من الرموز التي اختبر وجرب معانيها ورموزها ودلالاتها خلال فترة حياته، ومن أهمّ دراساته في هذا الشأن دراسته في **مجتمع ديمبو** بزامبيا المتمثلة في شجرة اللّبن وأهم رموزها ومعانيها، ومن خلال هذه الدراسة يقوم فيكتور تيرنر بتقسيم الرموز إلى:

– **الرموز المهيمنة** : هي عبارة عن أهداف تتمظهر في أفعال الشعائر أو في التفاعلات الاجتماعية، وعادةً ما توصف الرموز المهيمنة على أنّها دائماً متعددة المعنى في تأويلها.

– **الرموز الوسيطة**: هي رموز تستخدم في شعيرة معينة أو في التفاعل الاجتماعي، ففي مجتمع ديمبو هناك شعيرة تستخدم أجزاء من أشجار مُحتملة بالثمار كوسيلة لتخصيب النساء ويعتقد أهالي مجتمع ديمبو أنّ الثمار ترمز إلى الأطفال ويصنف تيرنر خصائص الرموز المهيمنة إلى:

– **التكثيف**: ويعني بوليسمية المعنى في الرّمز الواحد في حالة تفكيك شفراته وتأويله، حيث يجمع بين تركيبة من الأفكار والتصورات والانفعالات وأفعال تتبلور في رمز واحد أو صياغة رمزية واحدة.

– **الوحدة**: هي تعني الرموز والمعاني المختلفة في الصياغة الرمزية الواحدة، بحيث يشير تيرنر من خلال دراسته لمجتمع ديمبو أنّه توجد شجرة لبن تستخدم كرمز أساسي أو مهيمن يحتوي في مضمونه عدّة معانٍ مختلفة، فهذه الشجرة تعني الأمومة حسب المتخصصون الذين يقومون

بتلك الشعيرة، كما أنّها تعني صدر المرأة، وذلك لوجود المادة البيضاء التي تشبه اللبن ووحدة واستمرارية مجتمع ديمبو وهذا رأي غير المتخصصين في تلك الشعيرة (الاسود، 1991، ص 330-331).

➤ عرض سوسيو- منهجي لأهم الطرق والأساليب التي اتبعتها تيرنر في دراسته للرموز:

— عن طريق الملاحظة يتم جمع المعلومات والمعطيات المتعلقة بالرموز والشعائر المتضمنة للرموز ويمكن الحصول عليها عن طريق التركيز على الخصائص والصفات الخارجية؛

— إنّ معاني الرموز المهيمنة و رموز الشعائر يمكن استنتاجها عن طريق التفسيرات التي يقدمها الاخباريون أو المواطنون محل الدراسة؛

— الفهم الاجرائي للرموز: يتحقق ذلك النوع من الفهم عن طريق ملاحظة ليس فقط ما يقوله الأفراد بل أيضا ما يفعلونه سواء في مواقف أو شعائر معينة، كما يذهب في ذلك **كليفور جيرترز** أنّ الرموز دلالتها يجب أن تفهم تدرس من خلال وجهة نظر الفاعل والذين فرضوا ذلك المعنى على الظواهر والأفعال؛

— تحليل العلاقات والمضمون بحيث معنى الرمز يتبع من علاقته بالرموز الأخرى في مضمون كلي موحد. (نفس المرجع، ص، 342-344).

III- الدراسات السابقة:

1. **دراسة باي بوعلام 2013:** هدفت إلى الكشف عن الوظيفة الأخرى للطاولة التعليمية في ظلّ مقارنة سوسولوجية لظاهرة الكتابة الجرافيتية، واستخدم في هذه الدراسة المنهج الفهمي، وتقنية الملاحظة خاصّة في المرحلة الاستكشافية في جمع المعطيات _الوحدة الجرافيتية_ والمنحصرة في المنضدة والطاولة التعليمية واعتمد العينة القصديّة، -الطلبة باعتبارهم فاعلين في الممارسة- كما اعتمد على تقنية تحليل المضمون، وتوصلت الدراسة إلى: أنّ الكتابات الجرافيتية في مجملها تعكس قيم الثقافة الطلابية أغلبها ذو طابع مناقض ومتمرد على قيم الثقافة المؤسسية، وسيادة الخطاب المدنس على المتون الجرافيتية لمسائل تعتبر محظورة.

2. **دراسة جمال رغب محمد عبد الحسب - 2015-** هدفت إلى الكشف عن ظاهرة الكتابة على الجدران لدى طلاب جامعة الأزهر واستخدم في ذلك المنهج الوصفي التحليلي، كما طبق تقنية الاستبانة على عينة قوامها 1258؛ لتتوصل الدراسة إلى أنّه لا توجد فروق ذات دلالة احصائية بين استجابة أفراد العينة وعلى محاورها الأربع تبعاً لمتغير النوع، وأنّ استجابة أفراد العينة من طلاب جامعة الأزهر حول ظاهرة الكتابة على الجدران جاءت بدرجة كبيرة.

3. **دراسة بوكبشة جمعية ونادية فرحات 2022:** هدفت إلى الكشف عن التصورات الاجتماعية لدى الطّالِب الجامعي للكتابة الحائطية واستخدمت المنهج الوصفي، وطبقت أداة الاستمارة على العينة القصديّة من الطلبة الجامعيين، وتوصلت إلى أنّ التركيبة النفسية والعقلية للذكور تختلف عن الاناث وطرق تعبيرهم عن حالتهم تختلف، حيث الذكور يعتبرون الكتابة الحائطية فنّ، أمّا الاناث فيعتبرنها عنف رمزي، والعلاقة بين سن المبحوثين وموقفهم من الكتابة الحائطية؛ أي كلّما زاد سن الطالب زاد وعيه واعتبرها عنف رمزي وكلّما قلّ اعتبرها فن.

IV- الاطار المنهجي للدراسة:

1. منهج الدراسة:

1.1. **المنهج الوصفي:** هو منهج يتلاءم مع دراستنا الراهنة كونها تتطلب ذلك، فهي تحتاج إلى وصف الكتابة الجدارية وصفاً شاملاً من ناحية ظاهرها، وتحليل مضمونها المتمثل في الشفرات المستخرجة بطريقة تفكيكية؛

2.1. المنهج البنائي: هو ذلك المنهج الذي يُركّز على دراسة المجتمع بطريقة تكاملية شاملة، بحيث يأخذ الباحث في اعتباره كل علاقات التكامل والتّساند التي تربط بين موضوع الدراسة وبين باقي النّظم الأخرى التي تُكوّن بنية المجتمع، لذلك حاولنا قدر المستطاع ملاحظة ما يدور في حيز تعاطي المخدرات واستهلاكها من كتاباتٍ جداريةٍ و/ أو شامٍ وأهم المظاهر السلوكية في هذا الإطار.

3.1. المنهج الفهمي: لقد فرضت علينا متطلبات القواعد المنهجية وخاصة تلك المتعلقة بالناحية الامبريقية توظيف هذا المنهج الذي نهدف من خلاله الفهم العميق للشفرات المتمظهرة في الكتابات الجدارية المتعلقة بفئة المخدرات، وذلك بتفكيكنا لهذه الشفرات قصد الكشف عن دلالاتها في البعد السُوسيوي- اتصالي داخل هذا الفضاء.

2. أدوات جمع البيانات:

1.2. الملاحظة الاستكشافية شبه المنظمة: تمّ من خلالها تحديد ومسح العينة المقصودة للدراسة كون عينة دراستنا قصدية، كما تمّ الاستعانة بالمخبر وهو أحد مُتعاطي المخدرات داخل الحي الذي نحن بصدد دراسته والقاطن به منذ 13 سنة وخبرته في مجال المخدرات تُقدّر بـ 10 سنوات، حيث ساعدنا في تحديد أماكن الكتابات الجدارية والتي تمّ تفكيكها باستخراج أهم المؤشرات التي تتماشى مع دراستنا والتي تمثّلت في ثلاث صور جدارية تم استخراج منها 3 شفرات في حيز استهلاك ومتاجرة المخدرات، وقد تمّ نقل هذه المعطيات في شبكة الملاحظات حيث نُظمت بنقل: تاريخ و مكان ملاحظتها، ويتمثّل سبب الاعتماد على المخبر في تحديد الكتابات الجدارية نظرا لأنّ الحيّ المحدد للدراسة تتواجد به العديد من العصابات (عصابة نخب الرمال، عصابة السرقة، عصابة الدعارة، عصابة المخدرات) والتي جميعها تتخذ من جدران خلفيات العمارة والمحلّات المخربة أسفل العمارات، ومستودعات الكهرباء والأنترنت، فضاءً لها في كتابة تعبيراتها أو شفراتها، وهذا ما شكّل تداخل بين الكتابات الجدارية وانتماءاتها للعصابة المدونة أو الكتابات الجدارية الجانبية التي يقوم الأطفال أو المراهقين بكتابتها، وهذا كلّ من أجل أن لا نقع في خطأ المعاينة المقتصر على الملاحظة.

2.2. الملاحظة بالمشاركة: لا يتطلّب هذا النوع من الملاحظات إعداد دليل مسبق، وقد اعتمدنا عليها من خلال لقائنا بالمخبر الوشام، وتمثّل هدفنا باستعمالها في معرفة أهمّ المعاني التي تحملها شفرات الكتابات الجدارية الخاصة بفئة تعاطي المخدرات، حيث تمّت عملية فكّ الشّفرات بالتّوجه المباشر للكتابة الجدارية على مختلف الجدران وسط الحي والمحددة شفرتها المخصصة للتفكيك مسبقا، بحيث اعتبرنا الحي هو المتحف أو معرض الصور الجدارية وجدران العمارات ومستودعات الأنترنت والكهرباء هي اللوحة التي كتبت عليها هذه الشفرات، وفي لحظة تحديد الصور والشّفرات المراد تفكيكها من قبلنا للوشام يقوم هو بفكّ الشفرة وفي نفس الوقت نعمل على تدوين أهمّ ملاحظاته طبعا مع مداخلتنا في بعض الأحيان كل هذا كان بعد تهيئة الجو المناسب أثناء مقابلة الوشام، وسبب اعتمادنا على الوشام الذي يبلغ من العمر تقريبا 35 سنة، والذي له مستوى تعليمي عند الثالثة ثانوي في هذه التفكيكات؛ لخبرته التجريبية في هذا المجال التي تقارب الـ 17 سنة والتي تعلم فنونها سواء داخل الحي أو داخل السّجن سابقا، بالإضافة لمهنته في التصميم والنحت على القوارب بالميناء، وهذا كلّ حتى لا نقع في خطأ التأويل.

3.2. دراسة حالة: استخدمنا في بحثنا هذا دراسة الحالة وذلك لغرض إلقاء الضوء على الشفرات التي تحملها الرّموز داخل الكتابات الجدارية في حيز تعاطي المخدرات ومتاجرتها، كما اعتبرنا كل صورة حالة، خاصة أن دراستنا هذه وضعية استطلاعية ومختبر الفروض فيها قائم على هدف البحث.

3. العينة وكيفية اختيارها:

1.3. **عينة كرة الثلج:** إنّ المعاينة بالكرة الثلجية تتمثل في إضافة إلى نواة من الأفراد كل أولئك الذين هم في علاقة بهم، ويتمّ اللجوء إلى هذا الصنف خاصة عندما تكون لدى الباحث معرفة غير كافية بالوسط الذي يريد دراسته (سبعون، 2012، ص149)، واعتمدنا على عينة كرة الثلج انطلاقاً من المتعاطي للمخدرات والذي بدوره أوصلنا إلى أحد الوشامين أو ما يعرف بالوشام داخل عصابات الأحياء.

2.3. **العينة القصصية:** هي مفيدة في الحالات التي نرغب فيها بالوصول إلى العينة المرغوبة حيث تساعدنا على معرفة آراء المجتمع المستهدف، أي معرفة دلالات الكتابة الجدارية والتي تمثلت في ثلاثة صور جدارية تمّ استخراج منها ثلاث شفرات تنتمي لفئة المخدرات.

V. - عرض شبكة الملاحظات وتحليلها السوسولوجي:

1. الملاحظة الأولى:

_الجدول رقم (01): عرض الملاحظة الأولى.

تاريخ ومكان الملاحظة	الشفرة التي تمت ملاحظتها	تفكيك الشفرة من وجهة نظر الوشام
التاريخ: 26 فيفري 2024. المكان: خلفية لإحدى العمارات بالحي محل الدراسة.	تمت ملاحظة نجمة المهرج تحدها عند كل راس نقطتان متدرجتان أفقياً ملونة بالأسود بداخلها.	حسب وجهة نظر الوشام تعني النجمة داخل فئة المخدرات إلى: _ لا يوجد لديّ صديق؛ _ أظهر إلا في الليل كالخفاش؛ _ دلالة على بيع أحد أجود أنواع المخدرات الذي يكون عادة محتوم بالحرف H ونجمة ؛ _ "صوفة طابرة ما يتوب ما يترّبي".

المصدر: من إعداد الباحثين.

1.1. التحليل السوسولوجي للملاحظة الأولى:

تقدّم لنا النجمة بعد تفكيك شفراتها أنّها بوليسمية المعنى فهي لا تقف على معنى أو تأويل واحد، بل هي مُتعدّدة التأويلات والتي منها: "لا يوجد لديّ صديق" فهذا المعنى مُستوحى من طبيعة النجمة وهي المعروفة في نظام الكوكبة الفلكية بانفرادها عن مثيلاتها، أمّا داخل فئة المخدرات هي نوع من التماهي بين العزلة الدّائية للفرد وعزلة النجمة في الفضاء وهي طبيعتها الخلقية، أمّا الانسان فيستحيل أن يعيش بمفرده أو بمعزل عن العالم الخارجي فهو بطبعه كائن اجتماعي تربطه الحاجة بالآخر، أمّا حالة انعدام الصداقة لهذا الفرد داخل فئة المخدرات إنّما هو قائم على احتمالين بُعِدَ واحدٍ وهو الخيانة من عصبته، أولهما عند وقوعه في مأزق ما كالمشاجرات مع العصابات الأخرى لم تكن عُصبته مساندةً له، ثانياً وهو في حالة دخوله للسجن ولم تكن عصبته سائلةً عن حالته كإرسال الرسائل أو ارسال السجائر كدلالة على بقاء ولاء الانتماء، وبذلك فالنجمة داخل فئة المخدرات تحمل دلالة سوسيو- اتصالية على: التعرض للخيانة.

كما تقدّم من خلال "أنا لا أظهر إلا في الليل كالخفاش"، بطبيعة الحال النجمة والخفاش عادةً لا يظهران إلا ليلاً، كما أنّ الخفاش في حالة طيرانه يظهر في شكل نجمة وهنا هو توافق للتشابه الترميزي بين النجمة والخفاش، فعلاقة الظهور الليلي لدى فئة المخدرات، في هذا الوقت تجد هذه الفئة المتسع من الحرية في الاستهلاك والترويج للمخدرات وهي تستغل ظلمة الليل كستار لفعل هذه الأمور وعادةً ما تكثر هذه الظاهرة في فصل الشتاء لعامل الأمطار والبرودة الدّان يُسرّعان من عملية رجوع معظم العاملين في مختلف القطاعات وكذا باقي

فئات المجتمع إلى بيوتهم، بالإضافة إلى غلق المحلات التجارية مبكراً، فيخلو الفضاء لهذه الفئة، إضافةً إلى أنّ الهاتف النقال المرفق بالإنترنت وبشكل خاص عبر تقنية الفايبريوك يساهمون في حريتها؛ ففي حالة قدوم تدخل أمني تظهر العلاقات الاتصالية بين فئات المخدرات في تقديم المعلومة بأنّ هناك تدخل أمني مما يساعدها في الفرار أو الاختباء، وأيضاً حتّى عن طريق "التصغير أو صافرات الاستهجان" الذي يعتبر دلالة على وجود مداومة من قبل قوات الأمن، كما لا تجد مضايقات من سكان الحي لوجود عقلية "تخطي راسي"؛ يعني لا دخل لي فيهم؛ فيخلو الشارع لهاته الفئة، كما يعني أيضاً ارتباط الظهور إلّا في الليل بأنّه عامل ارتباطي بالمزاج فتعاطي المخدرات في الليل كما يدعي أصحاب هذا الوسط يحقق "الخرفة" وهي نشوة الاستهلاك مع السكون فيزداد توسع الخيال وهو محاولة للهروب من الواقع كما هو معمول لدى الصوفية، بمعنى أنّ الخيال أوقع من الواقع؛ وهنا هو تقارب حركة الحشاشين الطائفية للحسن بن الصباح الذي كان من خلال المخدرات يهيئ مجموعته بأنّها داخل الجنة؛ وهذا ما يجعلنا نستنتج أنّ النجمة داخل فئة المخدرات تعطي دلالات سوسيو- اتصالية تتمثل في دلالة زمانية: والمتمثلة في الليل وقت البيع والاستهلاك وهو وقت الحرية، ودلالة فيسيولوجية: تأثير الليل في اشباع رغبة التخدير، ودلالة اجتماعية مفادها: الهروب من الواقع المعاش.

كما تحمل النجمة داخل فئة المخدرات دلالة مكانية وإرشادية على أنّ المكان به مروج لبيع المخدرات والفئات المتعاطية، وكما هو معروف فنجمة الشمال هي من تهدي الملاحين إلى شاطئ الأمان والتائهين في عرض الصحراء، أمّا هنا فهي تعني أنّك في المكان المناسب بالنسبة للمتعاطي الذي يكون عادة من خارج الحي أو الغرباء بصفة عامة الذين يحاولون الشراء، أمّا النقاط المتفرقة على رؤوس النجمة فهي تشير إلى الأماكن المحتملة لجلوس المروج بالجوار من هذه الشفرة، ... والتي قد تتبعها في بعض الأحيان أين يكون المشتري غريب من المكان وتبدو عليه ملامح الاستهلاك للمخدرات أو علامات الذهول تكون الكلمة المفتاحية من المروج أو من أحد المتعاطين "راك مبحر" وكلمة مبحر هنا تعني أنّك ضائع في البحر وهي ترتبط مع النجمة في دلالة اتصالية، ومن الرموز التي ترتبط مع كلمة "مبحر" في بعض الأحيان هو مرساة السفن التي تلتف حوله أفعى وهي مستوحاة من أسطورة كلكماش الذي ذهب يبحث عن الدواء في أعماق البحار لصديقه كيوييد والذي عاد في آخر المطاف ووجد أنّ الأفعى ابتلعت الحشيش الذي جمعه من أجل حياة كيوييد، ومن هذا نستنتج أنّ النجمة داخل فئة المخدرات تُقدّم دلالة سوسيو اتصالية تتمثل في: الدلالة المكانية لبيع واستهلاك المخدرات كما تشير أيضاً إلى دلالة أخرى داخل هاته الفئة وهي: دلالة اقتصادية تجارية تتمثل في جودة المنتج، حيث تشير النجمة أنّ المكان تُباع فيه إحدى أجود أنواع المخدرات "الحشيش" وهي عادة تكون محتومة بالحرف الأجنبي **H** ونجمة، أمّا دلالتها السوسيو- اتصالية بالنسبة للعصابات الأخرى التي تباع المخدرات تتمثل في دلالة الأفضلية التنافسية أو ما يعرف داخل هذا النّسق الصراع من أجل السيطرة على عرش هذه السوق.

أمّا معنى "صوفة طابرة ما يتوب ما يترّبي"، فإنّ بحثنا في التراث العربي سنجد أنّ الكلمة المرادفة لكلمة "صوفة" هي الصعاليك أو الصعلكة أو ما يُعرفون بقطّاع الطرق، حيث عُرفت هاته الحركة بالتمزّد عن القيم السائدة داخل بنية القبيلة، فهي كانت تتخذ من الجبال الوعرة مكاناً لها، ومهنتها قطع الطريق على روادها؛ حيث يغيرون على القوافل التجارية وينهبون ثرواتها أو بالغارات على القبائل لسرقة الأكل واللباس ووسيلتها في التهريب هو السيف وقدرتها على الجري، أمّا داخل فئة المخدرات فهي دلالة على سرقة ممتلكات الآخرين، وهذا الفعل عادةً ما يكون عند غياب الدّخل المالي في شراء الممنوعات، أمّا وسيلة تهريبها فتتمثّل في الأسلحة البيضاء وحتى السيوف، وهذا يُظهر مدى تأثر هذه الفئات خاصة بأفكار حركة داعش في حاضرتنا اليوم، أمّا في قطع الطريق فهي تعتمد على رشّ زيت الزفت بالطرق خاصة بالليل ممّا يتسبّب في انحراف السيّارات والشّاحنات، فيقومون بنهب ما فيها و/أو حتى التعدي على أصحابها، أمّا دلالة "ما يتوب ما يترّبي" فهي تعني البقاء على هذه الحالة وعدم الانقياد بالمعايير الاجتماعية وعدم التوبة عن مثل هاته الأفعال اللاّ معيارية، وعادة تصاحب هذا المعنى "قطع لا يرقع" وهي دلالة على بشاعة فعل التعدي بالأسلحة البيضاء والضّرب والطّعن حتى القتل، أمّا على مستوى

الوشم فعادةً ما يظهر هذا المعنى في وشم "السوار" والمعنى من ذلك لن "أتوقّف عن السرقة حتى تقطع يدي"، ومنه نستنتج الدلالة السوسيو- اتصالية لهذا المعنى داخل فئة المخدرات التي مفادها أنّ: السرقة وسيلة للحصول على المخدرات، أمّا الدلالة الثانية: من أجل المخدرات يمكنني القتل، في حين أنّ الدلالة السوسيوولوجية العامة فهي: نرفض الانقياد تحت دولة ليس قانونها الشرع الاسلامي، بل نريد دولة اسلامية، وهنا يجتمع عندهم المعنى باللا معنى.

هذه الشفرة في خلفية إحدى العمارات تقابلها مباشرة دار الشباب، و عند فتح زاوية النظر بحوالي 150 درجة تقابلك ثانوية للبنات، وعند فتح زاوية النظر بحوالي 50 درجة تقابلك متوسطة، وهي مكان خاص لهذه العصابة وبالتالي سيكون لها تأثير عنفي رمزي على المراهقين والمراهقات بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على الذين يزاولون الدراسة في المتوسطة والثانوية، سواء باحتكاكهم بالذكور والذي قد يتسبب في التسرب الدراسي أو في تعاطي المخدرات، انبهار وإعجاب المراهقات بهذه الفئة لأنها تهتم بالمظهر والتجول أمام الثانوية والمتوسطة بأفخر السيارات لجذب انتباههن، والذي قد يصل للمواعدة والخرجات الغرامية بما قد يتسبب حتى في الوصول لبناء خلية لأوكار الدّعارة، وتأثر النشء بحركات العنف التي تقوم بها هذه الفئة والتي تُعرضهم للخطر، هذا أمام هاته الفئة الهشة نفسيا -إلى حدّ ما- وعليه نطرح سؤالاً موازيا لهذا من منظور الماكرو-سوسيوولوجيا: ما هو حجم التأثير إن كانت مثل هاته العصابات أمام الجامعات الفئة الواعية؟

2. الملاحظة الثانية:

الجدول رقم (02): عرض الملاحظة الثانية:

تاريخ ومكان الملاحظة	الشفرة التي تمّ ملاحظتها	تفكيك الشفرة من وجهة نظر الوشام
التاريخ: 26 فيفري 2024. المكان: خلفية المتوسطة بالحي.	ملاحظة شكل لرمح على حده يظهر شكل هلال وهو اللاز دو بيك في لعبة الكرتونشيني.	يشير هذا الرمز لدى فئة المخدرات حسب الوشام: _ لا أعشق ولا أتزوج فأنا متزوج "بالمليوا"; _ أنّ هذا الحي يوجد فيه أحد ثاني أجود المخدرات من حيث نوعيتها، وهو أيضا رسالة للعسكريين والامنيين الذين يتعاطون المخدرات بأنّ المكان مُحدد للبيع; _ أمّا الهلال فهو أنّنا لا نظهر إلاّ في الليل .

المصدر: من إعداد الباحثين.

1.2. التحليل السوسيوولوجي للملاحظة الثانية:

اللاز دو بيك هو الآخر متعدّد المعاني داخل فئة المخدرات منها: "أنا لا أعشق" القصد الذي يفهم من هذا أنّ العشق الوحيد المتعاطي أو مروجي المخدرات هو عشق المخدرات، التي تحقق اشباعا الحاجة النفسية والمزاجية وحتى الجنسية كأحد أنواع الفيتيشية والتقديس الأعمى للمخدرات، وهذا راجع لسيطرتها على المتعاطي الذي وصل إلى مرحلة الإدمان، هذا يبين أنّ داخل فئة المخدرات أعلى درجات الايروس هو الإدمان، كما يرى كارل مينجن: سيكولوجية تعاطي المخدرات هي سيكولوجية الحاجات الفمية غير المشبعة فصاحبها طفل يحتاج للحب حيث يمثل سلوكه تثبيتا على المرحلة الفمية كبديل لثدي الأم، (الوافي، 2012، ص124)، أمّا "انا لن أتزوج" فهي تعني وجود مسافة اجتماعية عتّا هو ينتمي الى العقود الاجتماعية، والسير في اللاّ نمطية الذي يعتبر تجاوز للمعايير والقيم الدينية السائدة داخل المجتمع الجزائري، فهو إذن انحراف أنومي عن القيم المستمدة من الدين الاسلامي الذي يحثّ على وجوب الزواج و يكره العزوبة، أمّا سبب ذلك فيعود بشكل عام إلى أنّ من يدخل عالم المخدرات يضيع عمره ما بين التلذذ بتعاطيها في الشوارع وبين ألم

الحرمان في السجون، وبالتالي ليس له زمن فاصل للتفكير لا بالزواج و لا ببناء أسرة، وأيضا التصور الاجتماعي الذي لا يعط هذه الشريحة فرصة العودة إلى النظام الاجتماعي، ذلك أنّ متعاطي المخدرات في الذهنية الجزائرية هو انسان غير مكيف ولا مُهيّئ أخلاقيا وتربوياً في حالة باثولوجية عن التمثلات الاجتماعية، وبالتالي فهو مطرود من الفردوس الاجتماعي لأنّه لا يؤدي دوره كما ينبغي داخل البناء الاجتماعي، أمّا "متزوج بالمليوا" وهو عالم المخدرات فهو عملية تماهي عن النقص الذي حرمت منه السلطة الاجتماعية وحضور المخدرات في مقام رفيقة العمر كزوجة؛ لأنّ هاته الفئة تتخذ من المخدرات وسيلة للتخلص من مشاكلها وهمومها، إضافة إلى أنّ متعاطي المخدرات عادةً لا تقبل الأسر الجزائرية أن تصاهرهم لغياب عامل الثقة، وأيضاً لغياب الكفاءة في تحمل المسؤولية الأسرية والتي ينجر عنها التفكك الأسري والقتل في بعض الأحيان، وبذلك جعلوا من المخدرات في مقام الأنتى، وهذا المعنى أيضا يتم الترميز عنه بواسطة "وشم الخاتم" في أحد الأصابع وهو دليل على الزواج بعالم المخدرات وهذين الرمزین يستعملان بكثرة من فئة الكهول التي تعتبر سنّها لا يوافق سن الزواج، ومن هذا نستنتج الدلالة السوسيو - اتصالية لآز دو بیک داخل فئة المخدرات: هو الوصول إلى مرحلة الإدمان، أمّا الدلالة السوسولوجية العامة فهي توحى بأنّه مُقصى اجتماعيا من الزواج.

وهي أيضاً تحمل رسالة لبعض العسكريين _ هذه الصورة في خلفية إحدى المتوسطات التي لا تبعد عن إحدى المؤسسات العسكرية إلاّ ببعض الأمتار _ فهذا الرمز تم استيحاء معناه من لعبة كرتونشيني الايطالية، في هذا الرمز نوع من التهجين الرمزي (الأطلسي الأسود) باستغلال الرمز من اللعبة الايطالية إلى واقع المخدرات في الجزائر والذي يُسمّى البستوني وهو يمثل طبقة الجيش أو الملك في هذه اللعبة، كما يرمز إلى وجود صنف آخر من أرقى المخدرات التي تحتم بهذا الطّابع عادة بهذا المكان للبيع بمعنى ملك المخدرات أو البارون، نستنتج من هذا الدلالة السوسيو اتصالية لهذا الرمز داخل فئة المخدرات والمتمثلة في: الدلالة المكانية لبيع المخدرات للعسكريين ورجال الأمن المستهلكين، والدلالة الاقتصادية في جودة المنتج المخدر وهو الحشيش، ملك المخدرات في تجارة الممنوعات أو البارون. أمّا الهلال فيحمل دلالة زمانية أنّنا لا نظهر إلاّ في الليل وهو مرتبط مع دلالة النجمة سابقاً.

3. الملاحظة الثالثة:

_الجدول رقم(03): عرض الملاحظة الثالثة.

تاريخ ومكان الملاحظة	الشفرة التي تمّ ملاحظتها	تفكيك الشفرة من وجهة نظر الوشام
التاريخ: 26 فيفري 2024. المكان: خلفية إحدى العمارات بالحلي.	ملاحظة وجه الجوكر أوالمهرج ذو شعر طويل من الجهة اليمنى ملون بالأخضر ومن الجهة اليسرى ملون بالأسود، وذو أنف أحمر تتدلّى من خصلات شعره على كلا الجهتين كرة بلياردو سوداء تحمل الرقم ثمانية في وسطها.	يشير وجه الجوكر داخل فئة المخدرات حسب وجهة نظر الوشام: _ أنّ الحلي تباع فيه أجود أنواع الحشيش ويتبين ذلك من خلال اللون الأخضر، وكل أنواع المؤثرات العقلية، خاصّة ليريكّا؛ التي تتبين من خلال اللون الاحمر في أنف الجوكر التي تُسبّب سعادةً غامرة للمتعاطي، أمّا اللون الأسود فهو يشير إلى أنّ المروج لا يظهر إلاّ في الليل؛ _ أنّ المروج في هذا الحلي يصعب الوصول إليه أو القبض عليه من طرف قوات الأمن فهو مثل كرة البلياردو آخر سبله في التخلص من قبضة الأمن هو الانتحار .

المصدر: من إعداد الباحثين.

1.3. التحليل السوسولوجي للملاحظة الثالثة:

هي صورة رمزية مصطنعة تمّ استخلاصها من أحد الأفلام الأمريكية لفيلم الجوكر الذي يحكي عن مدينة غوثام ذات المجتمع الطبقي والحافل بالجريمة، كما يصف بودريار هذه الواقعية المصطنعة بالواقعية المفرطة Hyperreality و أكثر واقعية من الواقع Hyper التي تؤدي إلى انهيار الحدود بين الإعلام وما هو اجتماعي بحيث التلفزيون هو العالم ذاته، وفكرة المصطنع تمّ تطبيقها على ديزني لاند وديزني وورلد التي تمثل استنساخ للشارع الأمريكي حيث لا وجود للمجرمين أو المخدرات فهي نسخة بعيدة عن صورة شوارع نيويورك المليئة بالجريمة والمخدرات (باركر، مرجع سابق، ص338). وبالعودة لهذا الرمز فهو يعني داخل فئة المخدرات حامل لدلالة مكانية: على أنّ المكان تباع فيه المخدرات والمؤثرات العقلية.

كما يحمل دلالة اقتصادية يُبعد تجاري تعني أنّ: هذا المكان تباع فيه أجود المخدرات من فصيلة الحشيش التي تظهر في اللون الأخضر، كما تباع فيه المؤثرات العقلية خاصة ليريكاً أو ما تعرف بالصاروخ والحمرا في هذا الوسط والتي تظهر في اللون الأحمر، أما اللون الأسود فهو يشير إلى الدلالة الزمانية: التي هي الليل، كما يعني اللون الأسود داخل هاته الفئة أنّ عقاب العصابات الأخرى هو القتل؛ واللون الأسود في الثقافة العربية يرمز أيضاً إلى الحداد الذي يرتبط بالموت عامة، وفعلاً شهد هذا الحي جريمة قتل مروعة قبل عامين.

أما كرة البليارد ذات الرقم ثمانية فهي تشير داخل هاته الفئة أنّ المروج ليس من السهولة الوصول أو الإطاحة به من المرة الأولى وزجّه بالسجن، وهذا يتماشى مع لعبة البليارد التي تتكون من خمسة عشرة كرة بحيث لكل خصم سبع كرات فلا بد من إدخالها جميعاً، حتى يتم الوصول إلى الكرة السوداء والتي يتم الاتفاق بين الخصمين عن عدد ضربها في صبورة البليارد وعن تعيين مكان دخولها وفي حالة خروجها من مائدة البليارد أو عدم دخولها في المكان المحدد ودخولها في مكان آخر فهذا يعني الانتحار، أما لدى فئة المخدرات فهي تشير في حالة حصار المروج من طرف رجال الأمن يقوم بعملية المفاوضات (وهي الاتفاق في لعبة البليارد)، وإن لم تنجح العملية يتعين الحل الأخير الذي يتم عبر مرحلتين أولهما التهديد بالانتحار، وإن لم يجد فرصة الفرار فعلاً قد يُقدّم على الانتحار، وقد تمت ملاحظة هذا الفعل في العديد من المرات اقبال المروجين على الانتحار في حالة حصرهم في الزاوية من طرف قوات الأمن بهذا الحي وهذا الفعل يعود إلى أنّ المروج له العديد من القضايا لم يُحاسب عليها، وحتى أنّه يعلم بعدد السنوات التي يقضيها سجنًا لذلك يفضل الانتحار على دخول السجن، وعملية الوصول إليه عادةً ما تكون بالإطاحة بالطاكيبيور الذي يعرف داخل هذه الفئة بقاتح الطريق لتأمين توصيل المخدرات وعدم الوقوع في الحواجز الأمنية أو من يقوم بتوزيعها داخل العصابات الصغيرة وهو يمثل في لعبة البليارد الكرة الصفراء ذات الرقم واحد ثم دوايك لجميع عناصر هاته الفئة التي هي في حالة حلقات متسلسلة أو ما تعرف في البحث العلمي بكرة الثلج؛ وهي خاصية تستعملها القوات الأمنية للوصول لرأس العصابة -الراس الكبير وفقاً للغتهم- أي العقل المدبر داخل هذه الفئة، وعليه نستنتج من هذا أنّ الدلالة السوسيو- اتصالية لهذه الكرة السوداء ذات الرقم ثمانية في لعبة البليارد داخل فئات المخدرات: هي تعني خيار الانتحار.

VI. عرض وتحليل النتائج:

— بوليسمية المعنى للرمز الواحد داخل فئات المخدرات ومن أبرز الدلالات السوسيو- اتصالية التي يحملها الرمز الواحد منها الدلالات الزمانية (النجمة، الهلال، اللون الأسود) وكل معانيها تصب في حقل الليل، الدلالة المكانية وهي مكان البيع أو الاستهلاك أو كلاهما معاً، دلالة الجريمة (القتل، السرقة، الانتحار)، الدلالة الاقتصادية التجارية (جودة أنواع المخدرات) وهذا ما يسمى بالتكثيف لدى فيكتور تيرنر. — الاتصال الرمزي هو أبرز أنواع الاتصال حضوراً داخل فئة المخدرات، لكثرة الرمزيات التي تطلق على كل مخدر، فالنسمة والكيف والتفون والصابونة والبطة والمرسيديس تشير إلى الحشيش (الزطلة)، أما على المؤثرات العقلية منها: خبز المطلوع تطلق على الكيتيل (كبير القرص)، البون موبيليس، القلون العصبي على الكيتيل، والتاكسي على الترامادول، والحمرا على ليريكاً، والخنايق على لارطان.

— من القنوات الاتصالية البديلة للكتابات الجدارية في عملية التواصل بين المروج والمستهلك أو العكس كلمة "مبحر" بمعنى أنك تائه، الوشم على الجسد، أقمص الأندية الكروية خاصة الإيطالية مثل: (جوفنتوس، الانتر، ميلانو، نابولي)، و دورقوند الألماني، وبشكتاش التركي، وكذا قميص البحارة بالأبيض والأسود، وهذا نظراً لأن معظم هاته الأندية تقع في أهم مدن المافيا سواء الإيطالية أو الألمانية أو التركية، أمّا فيما يخص البحارة فهم الآخريين يعتبرون من الفئة التي لها ميولات وحتى انتماءات كبيرة نحو هذا العالم.

— من الايديولوجيات المصدرة التي تعتمد عليها هاته الفئات في بناء لغتها الرمزية في التواصل منها المسلسلات والأفلام التركية، وهي التي تظهر جلياً مع الجيل الجديد لتوفر وسائل الإعلام الحديثة في اقتباس الترميز كاليوتيوب، على عكس الفئات الكلاسيكية التي كانت تعتمد على الأفلام الأمريكية والإيطالية والصينية التي كانت تعرض في "المحاشاة" وهي سينما الحي أين كانت تُعرض الأفلام خاصة في شهر رمضان زمن الـ DVD و CD على غير المقهى الذي كان يتميز بالاحترام، أمّا من حيث الفلسفات الفكرية فيظهر تأثرها بالفلسفة الفوضوية الاناركية و فلسفة الرفض؛

— وجود مثل هاته الكتابات أمام المؤسسات التربوية عامل خطير في التأثير على فئة المراهقين بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مما يتسبب في التسرب المدرسي، وتعاطي المخدرات داخل الوسط التربوي، وتشكيل عصابات الدّعاة؛

— الاقصاء الاجتماعي لهذه الفئة من الزواج سواء المجتمع أو حتى من داخل الأسرة يعتبر عامل مساعد في ارتفاع انتشار ظاهرة المخدرات وبدوره يساهم في العزوبية الذي ينجر عنه انتشار أوكار الدّعاة؛

— وسائل الحصول على المعلومة التي تفيد على قدوم مدممة أمنية منها وسائل الاتصال الحديثة المتمثلة في الهاتف النقال والفايسبوك، أمّا من وسائل الاتصال التقليدي نذكر صافرات الاستهجان؛

— المخيال الاجتماعي لهذه الفئة متأثر بحركة داعش وحركة الحشاشين وقصص الصعاليك من التراث العربي، أمّا من التراث الغربي متأثر بحركة الهيبى والهيب هوب والبراك دانس وتظهر علاماتها في هذه الأوساط من خلال ألبستها كقمصان مغني الراب توب باك، بوب مارلي، وأيضاً حلاقات الشعر الخاصة بهم.

VII. الخلاصة:

يتبين لنا من خلال الذي تقدّم معنا أنّ الكتابات الجدارية لدى فئة المخدرات هي بمثابة قوة ناعمة في عرض مناهضتها للواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وحتى الثقافي؛ هذا من جانب الدلالة السوسيو- اتصالية خارج فئة المخدرات، أمّا بداخلها فهي متعددة المعنى والتأويل ومن دلالاتها السوسيو- اتصالية نذكر الدلالة المكانية والدلالة الزمانية ودلالة الجريمة، وحتى الدلالة الاقتصادية والتجارية كدعاية مغرضة لأنواع المخدرات المستهلكة والمروج لها بهذا الوسط، كما تبين لنا أيضاً أنّ مجتمع المخدرات يتميز بثقافة تنظيمية عالية المستوى؛ قائمة على تراتبية هرمية ومن أبرزها القائم بعملية التوصيل إلى القائم بعملية الحماية الليلية من أيّ تدخل سواء لعصابات الأحياء الأخرى أو من طرف قوات الأمن، وصولاً إلى المروج، وكلّ يؤدي دوره داخل هذا البناء في شكل تضامن آلي، وكأنّها قبيلة محددة المعايير والأعراف، ففانون الحكم في مثل هاته الفئات مكيافلي السُلطة، أمّا النسق الثقافي المتغلغل فكراً فيها مبني على فلسفة الاناركية وفلسفة رفض كل ما هو اجتماعي ومعيارى.

- الإحالات والمراجع:

- 1- الاسود حافظ، (1999)، المدخل الرمزي لدراسة المجتمع، حولى كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد(14).
- 2- باركر كريس، (ترجمة: جمال بلقاسم)، (2018)، معجم الدراسات الثقافية، رؤية للنشر، مصر.
- 3- باي بوعلام، الوظيفة الاخرى للطاولة التعليمية: مقارنة سوسولوجية لظاهرة الكتابات الجرافيتية، مجلة الانسان والمجتمع، العدد (05)، (افريل 2013)، الجزائر، ص ص 73-102.
- 4- بوكيشة جمعية، فرحات نادية، التصورات الاجتماعية لدى الطالب الجامعي للكتابة الحائطية دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، مجلة دراسات انسانية واجتماعية، المجلد(11)، العدد(05)، (16 جوان، 2022)، الجزائر، ص ص 327-342.
- 5- جان كالفى، (ترجمة: محمد يحياتن)، (2006)، علم الاجتماع اللغوي، دار القصة، الجزائر.
- 6- سبعون سعيد، (2012)، جرادي حفصة، الدليل المنهجي في اعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع، دار القصة، الجزائر.
- 7- عبد الحسب جمال رغب محمد، ظاهرة الكتابة على الجدران لدى طلاب جامعة الأزهر دراسة ميدانية، مجلة كلية التربية، العدد (165)، (ج1)، (أكتوبر 2015)، مصر، ص ص 67-11.
- 8- عامر نورة، (2006)، التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابة الجدارية، رسالة ماجستير، جامعة الاخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر.
- 9- ماتلار اومان، ماتلار ميشال، (ترجمة: نصر الدين العياضي والصادق رابح)، (2005)، تاريخ نظريات الاتصال، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان.
- 10- ميغري ايريك، (ترجمة: نصر الدين العياضي)، (2018)، سوسولوجيا الميديا، المنامة، هيئة البحرين للثقافة والآثار.
- 11- الوافي عبد الرحمان، (2012)، الوجيز في علم النفس الاجتماعي، دار هومة، الجزائر.
- 12- وينكين ايفي، (ترجمة: خالد عمراني)، (2018)، انثروبولوجيا التواصل من النظرية إلى ميدان البحث، هيئة البحرين للثقافة والآثار، البحرين.